پژوهش‌نامهٔ انتقادی متون و برنامه‌های علوم انسانی، پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
ماهنامهٔ علمی ـ پژوهشی، سال هجدهم، شمارهٔ یازدهم، بهمن ۱۳۹۷، ۷۹-۹۱

کتاب *دراسات فی الأدب العربی الحدیث (النثر)* فی میزان النقد

**علیرضا کاهه*[*]

الملخص

طیلة القرن الماضی قد جرت تغییرات واسعة وکبیرة علی النثر العربی الحدیث، ولهذا السبب دراسة مراحل نشوئه والتحولات الطارئة علیه، إلی جانب التدقیق وإنعام النظر فی النماذج الموجودة والمقدَّمة فی هذا المجال بحاجة إلی دراسات دقیقة وشاملة، وذلک بسبب الاتساع الجغرافی والمواضیع المطروحة المتعددة فی النثر الحدیث وأنماطه المتعددة. إن کتاب *دراسات فی الأدب العربی الحدیث (النثر)* الذی کتبه الدارسان محمد أحمد ربیع، وسالم أحمد الحمدانی بالاشتراک، أحد الکتب الذی یتطرق إلی النثر الحدیث؛ حیث یسعی الکاتبان إلی رصد مراحل تطور أنواعه المتنوعة وهی: المقالة، والقصة القصیرة، والروایة، والمسرحیة، ومن خلال انتقاء نماذج من کل نوع، والقیام بتحلیلها یقدّمان رؤیتهما النقدیة للقارىء. مع الأخذ بعین الاعتبار السؤال الهام: هل من المطلوب اختیار وتقدیم هذا الکتاب کنص تعلیمیّ لمادة «نصوص النثر فی العصر المعاصر» التی تُعرض علی الطلّاب الإیرانیین فی فرع اللغة العربیة وآدابها لمرحلة اللیسانس؟ یجب القول بأنّ هذا الکتاب لم یتبنّ منحًی واتجاهاً واحداً ومنهجیاً فی تحلیل النصوص علاوة علی عدم شمولیة النماذج المدروسة فیها، ولأجل هذا لا یمکن تقدیمه کمرجع کامل وجامع یلبّی حاجات الطلبة فی هذا المجالإذ لا یمکّنهم بعد قراءة هذا البحث من نقدوتقییم النصوص الحدیثة وفقاً لنظریة خاصة ذات إطار محدد. إن هذا المقال یسعی من ناحیة لتسلیط الضوء علی الجوانب الشکلیة للکتاب، ومن ناحیة أخری یقوم بدراسة مضمونه، وتبیین المحاسن والمساوىء والنقائص الموجودة فیه.

الکلمات المفتاحیة: الأدب الحدیث، النثر، *دراسات فی الأدب العربی الحدیث (النثر)*، محمد أحمد ربیع، سالم أحمد الحمدانی.

---

* استاذ مساعد فی قسم اللغة العربیة وآدابها بجامعة ولایت، ایرانشهر، a.kahe@velayat.ac.ir
تاریخ دریافت: ۱۳۹۷/۶/۱۷، تاریخ پذیرش: ۱۳۹۷/۹/۲۸

۱. مقدمة

طوال العقود الماضية كان النثر الحديث إلى حد كبير موضع اهتمام والتفات الدارسين، وبفضل هذه البحوث، قد تمّ تهيئة الظروف وتوفير الفرصة للراغبين فى متابعة النثر الحديث كى يتعرّفوا أكثر فأكثر على اتجاهاته، ومواضيعه، وروّاده، وأعلامه ونتاجاتهم الأدبية. ومن هنا يبدو للمتأمل فى هذه الدراسات مدى الصعوبة التى تعترض من يتصدّى لدراسة النثر العربى الحديث تاريخاً أو نقداً وتتمثّل الصعوبة فى أن حجم المادة النقدية التى يمكن أن تخضع للدراسة والتقويم متناثرة ومبعثرة فى البلاد العربية. من هذا المنطلق ينبغى أن يصبّ اهتمام النقاد على رصد المؤلفات المعروضة فى هذا المجال ومن ثمّ نقدها الشكلى والمضمونى كى يتمخّض هذا النقد عن العثور على أفضل الكتب الصادرة،وذلک للاعتماد عليها كنص تعليمى شامل، وجامع، ومنتخَب حتى يتمّ تقديمها على طلاب فرع اللغة العربية وآدابها لمادة «نصوص النثر فى العصر المعاصر». ونظراً لأهمية هذا الأمر تهدف هذه المقالة إلى تقديم تحليل نقدى لكتاب *دراسات فى الأدب العربى الحديث (النثر)* للكاتبَين محمد أحمد ربيع، وسالم أحمد الحمدانى، وتسعى لدراسته وتقييمه على المستويين: الشكلى والمضمونى، وذلک للإجابة عن هذا السؤال: إلى أى مدى أخذ هذا الكتاب بعين الاعتبار الأسس البنيوية والمضمونية المنشودة من البحث العلمى؟

۲. تحليل الجوانب الشكلية

يرى الباحثون أنه لا تأثير للجوانب الشكلية للكتاب فى الجانب الموضوعى له لكن هناک دورهام ومحورى للشكل، ويكمن هذا الدور فى إثارة اهتمام وانتباهالقارىءويعتبر أحد العوامل الهامة فى سيميائية الأثر العلمى (بشيرى، ۱۳۹۳: ۳). لم يتمتّع كتاب *دراسات فى الأدب العربى الحديث (النثر)* بجماليات سيميائيةتميزه عن الكتب الأخرى، وتم إغفال هذا الجانب سواء على الغلاف أو داخل صفحات الكتاب. إن جودة الطباعة من حيث رسم الحروف، والصفحات، والبنط جيدة، لكن كان من الأفضل تحديد المباحث الهامة فى التحليلات بتغيير البنط أوتضخيمه للدلالةعلى أهميتها والتركيز عليها.إن تنظيم الفقرات من حيث عدد الأسطر غير متناسق وغير منتظم، بحيث يواجه القارىء فى الفصل الأول فقرات مقطّعة، ومنفصلة، وقصيرة، تلى تباعاً لكن أجزاء من الفصلين الثانى والثالث تضمنت فقرات طويلة ومسهبة قد تُمل القارىء وتوقعه فى الضجر.فينبغى أن يحسن الكاتب ربط الجمل والتراكيب، مبتعداً عن العبارات الطويلة التى تؤدى إلى التعقيد أو ضجر القارىء، وقد لا تعبّر عن رأى كاتبها بجلاء ووضوح.

إن لغة الكتاب وجُملاته بأجمعها سلسة وقريبة للفهم لكن القارىء قد يجد صعوبة فـى فهـم جملة كهذه «أما الحيوية فى الحوار فإنها تتحقق بما يصاحب الأداء من حركة عضوية أو القـراءة من حركة ذهنية القومية التى ترتبط بها الأمة فى كل زمان ومكان، وهى عنوان وهوية الأمة بكل نشاطاتها الفكرية والأدبية والفنية» (ربيعوالحمدانى، ٢٠٠٣: ١٦٤)، فكلّما يتأمل القارىء الجملـة فلا يمكنه الوصول إلى المعنى المقصود منعبارة «حركة ذهنية القومية التى ترتبط بها الأمة فى كل زمان... إلخ».

بما أن الخطأ المطبعيّ يفسد الأثر العلمى، ويعطى انطباعـاً سـيئاً لـدى القـارئين فيجـب أن تكون الطباعة دقيقة وخالية من الخطأ. حبّذا لو كان الكتاب خالياً من الأخطاء المطبعيّة الكثيـرة التى ظهرت فيه.على سبيل المثال فى الصفحة السادسة، وفى الفقرة الأولى من المقدمة قد كُتـب «شئياً» والمقصود «شيئاً». وفى ثلاثة أسطر ما قبل الأخير من الصفحة نفسـها نجـد «أضـفينا» بدل كلمة «أضفنا». والخطأ ظاهر فى جملة: «كما حظـوا علـى التسـلح بـالأخلاق الحميـدة» (ص ٢٩) والصحيح: «حضّوا». ومما يؤسف عليه هو أن يواجه القارىء أخطاء مطبعيّة متعـدّدة فى ثلاثة أسطر: «... يترك فى الفوسطابعاً قاتماً متشائماً وينهتى فى الغالب بنهاية محزنة. عرّفها أرسطو بأنها محاكاة فعل نبيل تام لها طول معلوم بغلة مزودة بـألوا مـن التـزيين» (ص ١٦٨). والجملات تحتاج إلى تنقيح كلمات: النفوس، ينتهى، بلغة و بألوان. إن هذه الأخطاء تحـطّ مـن شأن الكتاب وقد تحيّر وتُضلّالطالب بحيث إذا لم يتم إرشاده إلى المعنى الصواب قد يخطأ فـى فهم المعنى الصحيح.

إن الأخطاء الصرفية والنحوية هى من الأضرار التى قد تهدّد بعض المؤلفات العربية «فالعجمة واللحن شائعان حتى على ألسنة المتخصصين والمتعلمين» (الهاشـمى، ٢٠٠٨: ٣٢)، ومـن هـذا المنطلق إن أسباب تدريس النحو الآن لم تختلف عن دواعى تدريسـه فـى السـابق؛ لأن النحـو يساعد الطلبة على اكتشاف الخطأ فى المكتوب.وللأسفظهرت فى هـذا الكتـاب أخطـاء صـرفية ونحوية بأشكال شتّى، وفيما يلى إشارة إلى أهمها: ١. الاستخدام غير المناسبمن الحرف الجـارة: «وتتعدّد الشخصيات فى القصة، وغالباً مـا تكـون فـى الإنسـان...» (ص ٦١)، والمعنـى يكمـل ويستقيم بواسطة حرف «مِن» الجارة؛ أى تكون الشخصيات من الإنسان، وتُختار منه وليست من الموجودات الأخرى. ٢. عدم المطابقة بين الصفة والموصوف فيالتعريف والتنكيـر: «فمـنهم مـن يفضّل وصف بيئة القصصيةوصفاً دقيقاً» (ص ٦٤). ٣. عدم المطابقة بين الصفة والموصـوف فـى التذكير والتأنيث: «اقتباس موضوعاتها من الحكايات الشـعبية التراثـى» (ص ١٥٨). ٤. مجـىء «ال» على المضاف: «... إن انتصار الإرادة فى جنوب شرقى آسيا هو انتصـار الإرادة الإنسـان» (ص ٩٤)، «حانت منه التفاتة نحو الأولاده..» (ص ٩١). ٥. مجىء «أنّ» على الجملة الابتدائيـة:

«أن الحدث الرئيسى الذى يعكس تطلعات..» (ص ١٢٨). ۶. عدم تطابق إسم الإشارة والمشار إليه: «إذ خصصنا لهذا المادة (نثرا) جنس المقالة و...» (مقدمة كتاب ص ۵). «لأن جهد الكاتب فى تصوير هذا الشخصيات قد انصب...» (ص ۱۳۳). «ولم تستطع البيئة الجديدة أن تضعف هذه الإحساس فى نفسه» (ص ۱۴۸). «ففى هذا الحالة» (ص ۱۶۳). ۷. إلغاء عمل حرف «لَم» الجازمة: «لكن هذا الصراع لم يضيف على مسرحياته الحيويّة والحركة» (ص ۱۷۲).

إن الحواشى والهوامش «تحمل لنصها ولقارئها تدقيقاً وتحقيقاً للمرجع الذى انتُزعت منه، إما أن تكون بعيدة (أى أن تقع فى آخر المبحث أو الكتاب)، وإما قريبة (أى أن تقع فى أسفل الصفحة)» (بلعابد، ۲۰۰۸: ۱۳۱). والهوامشالموجودة فى هذا الكتاب تقع فى أسفل الصفحات،وتكون متميزة بأرقام مستقلة لكل صفحة على حدة، ودُونت المعلومات فيها بتسلسل الأرقام التى وضعت فى نص الصفحة. واتبع الكاتبان للإرجاع أسلوب: إسم الكتاب، اسم المؤلف، رقم الصفحة. وحينما يكرَّر المرجع فى الصفحات التالية يُكتفى بذكر إسم الكتاب، ورقم الصفحة لكن هذا المنهج لم يُتبع فى بعض الأجزاء من الكتاب، على سبيل المثال لم يُذكر إسم المؤلف (عبدالمحسن طه بدر) فى هامش الصفحتين ۱۱۸ و۱۱۹: «تطور الرواية العربية الحديثة فى مصر ص ۳۱۸-۳۲۰». أو نجد تقدّم إسم المؤلف على إسم الكتاب «عزالدين إسماعيل: الأدب وفنونه ص ۴۴۷» (ص ۱۹۲). وفى هوامش صفحات متعددة يُشار إليمكان النشر وسنة الطبع: «فى الأدب العربى أصوله ومناهجه ص ۹۴ القاهرة ۱۹۷۶» (ص ۳۴، وأيضاً صفحات ۳۶، ۷۴، ۸۲، ۹۳، ۱۳۹)، بينما «لا تذكر فى الحاشية معلومات النشر: رقم الطبعة، اسم الناشر، مكان الطبع، سنة الطبع، وإنما يُترک ذكر هذه المعلومات إلى ثبت المصادر والمراجع الذى يأتى فى نهاية الرسالة» (الركابى، ۱۹۹۲: ۶۱). إن هذا الفوضى والتذبذب فى ثبت المصادر، وعدم اتباع أسلوب صحيح وواحد فى الإرجاع أمر مرفوض ولا يمكن قبوله فى البحوث العلمية.

من الخطوات الهامة فى البحث العلمى كتابة وتوثيق المراجع والمصادر بطرق سليمة،وينبغى أن تكون كافة المراجع الموثّقة فى متن البحث مطابقة للمراجع الموثّقة فى فهرس المراجع لكننا نجدعدم تواجد بعض المراجع المستفادة منها فى فهرس المصادر والمراجع، مثل المرجع الوارد فى الصفحة ۱۶: «نشأة القصة وتطورها فى العراق: عبد الإله أحمد ص ۲۰»، والمراجع الموجودة فى هامش الصفحات التالية: ۳۶، ۱۱۲، ۱۲۱، ۱۳۹، ۱۵۶، ۱۷۲، ۱۹۴. وما يضعف مصداقية مراجع الكتاب عدم توثيقها بذكر «دار النشر، سنة الطبع، رقم الطبع» فى فهرس المصادر والمراجع، وكان ينبغى توثيق مراجعالفهرس وفقا لطرق علمية متّبعة كى يوفّر للقارىء إمكانية الاستزادة فى موضوع البحث من خلال رجوعه إلى المراجعالموثوقة بها، وأيضاً لتعزيز مصداقية البحث والتحقّق مما ورد فيه من المعلومات.

٣. التحليل المضمونى للكتاب

إن «العنوان لدى السيميائيين، بمثابة سؤال إشكالى، بينما النص، هو بمثابة إجابة عن هذا السؤال. إن العنوان يحيل على مرجعية النص، ويحتوى العمل الأدبى فى كليتـه وعموميتـه» (حمـداوى، ١٩٩٧: ١٠٨). وإذا كان العنوان يعيّن طبيعة النص ويعلن نوايا المبدع فعلى المؤلف أنيمدّ القارىء فى المقدمة بمعلومات عن أسباب تأليف الكتاب، والمنهج المتبّع فى العمل الأدبى، وإطاره العـام كخطوة تمهيديّة قبل الولوج فى صلب الموضوع. فمن هذا المنطلقأعلن الكاتبان فى مقدمـة هـذا الكتاب أنه جزء متمّم للجزء الأول من الكتاب الذى تمّ نشره تحت عنوان «دراسات فـى الأدب العربى الحديث (الشعر)» وتناول مادة الشعر. وقد تحدّثا عن الأطر الرئيسيةفى الكتاب ثم أشـارا إلى الاتجاه التاريخى الذيتم تبنّيه فى تبيين القضايا التاريخية، مؤكّدَين على المنهج التحليلى فـى دراسة النماذج المقدّمة، والتعويل على الآثار الأكثر شهرة إلى جانب الاعتماد على بعض النماذج البعيدة عن الشهرة والتى لم تحظمنذ صدورها باهتمام نقدى واسع، والسبب مـن وراء ذلـک فـى اعتقادهما هو رؤى قيّمة، وطاقات تعبيرة، ومفاهيم إنسانية تحملها هذه الأعمـال المغمـورة التـى ينبغى تمهيد مكانتها ولأصحابها فى الدراسات الأدبية، ولا يجدر بنا الإغفال عنها وإهمالها.

يبدأ **الفصل الأول** من الكتاب تحت عنوان «تمهيد فى النثر العربى الحديث ـ سـماته ومظـاهر تطوره» فى أربعين صفحة (٩-٤٩). تضمّنت الصفحات الواحدة والعشـرون الأولـى قضـايا عامـة يجدالقارىء معظمها فى ثنايا كتب تاريخ الأدب المعاصـر لكـنّ الكـاتبَين للاحتـراز عـن تكـرار الموضوعات عالجاها بشكل موجز ومكثّف تحت مواضـيع متعـددةهى: ١. يقظـة الأمـة العربيـة، ٢. الطباعة، ٣. الصحافة، ۴. الترجمة، ۵. البعثات، ۶. المدارس. يستمر البحث فى هذا الفصل حول التغييرات الطارئة على النثر العربى المعاصر على المستويين: اللغوى والموضوعى. ثم يتناول بعجالة الفنون الأدبية الحديثة وعوامل ازدهار الخطابة، وتحت عنوان «المقالة» وبعد تعريفها، وذكر مراحل نشوئها، وتطورها، وأنواعها؛ يتم تقديم أربعة كتّاب هم: لطفى المنفلوطى، وصادق الرافعى، وفهمـى المدرس، وخالد الكركى، وتُعرض أجزاء مقطوعة من بعض مقالاتهم كنماذج فى هذا المجال.

يتضمّن **الفصل الثانى** عنوان «الفن القصصى» فى ۵۶ صفحة (۵۲-١٠٨) ويلقى نظـرة علـى وجود نماذج فى الأدب العربى تشبه هذا الجنس الأدبى كالحكايات، والمقامات، وبعض القصص كألف ليلة وليلة. ثم تُدرس الأسباب الرئيسية فى ظهور القصة الحديثة فى الأدب العربى، كترجمة القصص الغربية التى كانت تُنشر فى الصحف بهدف تسلية القراء، لكن لايلبث أن يظهر أمثال سليم البستانى وجرجى زيدان، ورويداً رويداً تتسع دائرة الكتّاب والأدباء فـى القـرن العشـرين بعـدما ولجت الساحة الأدبية جماعة من الأدباء الكبار من مختلف البلاد العربية والـذين حقّـق الـبعض

منهم نجاحاً باهراً وغير مسبوق فى عالم الأدب أمثال: نجيب محفوظ، عادل كامل، عبدالحميد جودة السحار، على أحمد باكثير، محمود تيمور، توفيق الحكيم، طه حسين، يوسف ادريس، عبدالرحمن الشرقاوى فى مصر، وعبد المسيح انطاكى، عبد الحميد الزهراوى، معروف الأرناؤوط، شكيب الجابرى فى سوريا، ومحمود أحمد السيد، ذو النون أيوب، عبد الحق فاضل فى العراق، وميخائيل نعيمة، وسهيل إدريس فى لبنان.

يستمر هذا الفصل مع تعريف لعناصر الرواية (الحدث، الشخصية، البيئة، الحبكة، السرد، الأسلوب، الحوار) ثم تُعرض ست قصص قصيرة نموذجاً للدراسة والتحليل وهى: ١. الزوجات العشر لعبد العزيز عبد الكريم. ٢. السور لإلهام عبد الكريم. ٣. الخطو فوق الجراح لعدنان على جابر. ۴. إسماعيل يتحدّى المجتمع تأليف يحيى حقى. ۵. فى القطار تأليف محمد تيمور. ۶. أبطال الخمرة تأليف محمود أحمد السيد.

يحمل **الفصل الثالث** عنوان «الرواية» ومؤلّف من ۸۵ صفحة (۱۰۹-۱۹۴). يبدأ هذا الفصل بتعريفها وتبيين فروقهامع القصة القصيرة، ويستمربإطلالة سريعة على نشأة الرواية العربية. وفى مبحث نماذج من الرواية تقدّم أولاً رواية «زينب» (۱۹۱۴) لمحمد حسين هيكل،ويذكر بشكل عام بعض الإيجابيات والسلبياتالموجودة فيها. يختار الكاتبان روايتين أخريين هما: «زقاق المدق» لنجيب محفوظ، و «موسم الهجرة إلى الشمال» للطيب صالح، لدراسة عناصرهما الروائية (الحدث، الشخصيات، الزمان، المكان، الحبكة والبناء، اللغة، الوصف). وبعد الانتهاء من دراسة الروايتين المذكورتين يدخل البحث فى مجال المسرحية وتحت هذا العنوان يشير الباحثان إلى أنواعها المماثلة فى الأدب العربى القديم تحت مسميات مختلفة كالمقامة، والحكواتى، وخيال الظل، والقرقوز؛ ويشرحان باختصار مراحل نشوء المسرحية فى الأدب العربى الحديث وعناصرها (لغة الحوار، فصول المسرحية،الصراع، الحركة، الحبكة، الشخصية، الفكرة) وأنواعها: المأساة والملهاة. وفى الختام يقع الاختيار على ثلاث مسرحيات لتقديمها وتحليلها وهى: ١. مجنون ليلى لأحمد شوقى. ٢. حكاية الأيام الثلاثة لعمر النص. ٣. الحلاج لصلاح عبد الصبور.

۴. أخلاقيات البحث

من الخصائص الجلية لأى بحث علمى تسجيل المراجع والمصادر المستفادة منها، ولحفظ الأمانة العلمية على الدارس أن يدقّق فى إحالة المراجع المقتبسة منها. كما أن الابتعاد عن التعصب والتطرف والانطباع الذاتى يمكن أن يُستخدم كمعايير لقياس وتقييم أخلاقيات البحث (اسلامى، ۱۳۹۱: ۱۴۴). فى هذا الصدد يجب القول بأنه فى القضايا التاريخية وعلى وجه

التحديد فی تحليل النصوص يشير المؤلفان فی مواضع عدة إلى المصادر التی أكثرا من الاستفادة منها وتم الاعتماد عليها بهذا القول: «اعتمدنا فی دراسة هـذه القصـة علـى كتـاب...» (ص ٧٤)، «انتفع الدارسان فی هذا الموضوع بكتاب...» (ص ١١١). إن هذا الأمر جدير بالتقدير لكن بعض الأحيان بسبب عدم مراعاة أسس الإحالة الصحيحة إلى المراجع، تختلط الأقوال المنقولة من الآخرين مع كلام المؤلفَين بحيث لا يمكن فرزهما. إن هذه المسألة ظهـرت فـی الصـفحات ٨٦-٨٨، و١٢٤-١٣٦، وفی المباحث المتعلقة بتحليل المسرحيات فی الفصل الثالث.

يتم الاقتباس وفق طرق مختلفة ولكل طريقة مناسبتها وإن علامة التنصيص «تستخدم لحصر الاقتباس المباشر من الكلام» (الهواری، ٢٠٠١: ٨٨) أی نقل النص كاملاً دون إحداث التغيير فيه، لكن الكتاب جعل كافة الأقوال المقتبسة بين القوسين، على سبيل المثال فی الصفحة ١٦ اقتـبس من كتاب«نشأة القصة وتطورها فی العراق» لعبدالإلهأحمدهذه الجملة: «ومن مظاهرها الإيجابيـة أنها (فتحت صدرها للفنون الأدبية الجديدة كالمقالة والقصة)». وفی موضع آخر تم نقل جملة من «رفاعة الطهطاوی» بين القوسين ولكن دون ذكر المصدر: «... كقوله فيما ترجم عن أحد الحكّام (وكان أحظى الملوک باكتساب الطاعة... كما كان عظيماً عند مماته)» (ص ٢٦). كمـا أن جميـع الأقوال المقتبسة لتعريف المقالة فی الصفحتين ٣٣ و٣٤ وُضعت بين القوسين، نكتفی بذكر ما نُقل من كتاب «فن المقالة» لمحمد يوسف نجم: «فن أدبی نثری، حديث علـى الأدب العربـی، وهـو (قطعة محدودة فی الطول والموضوع... وشرطها الأول، أن تكـون تعبيـراً صـادقاً عـن شخصـية كاتبها)» (ص ٣٣).

إن الإحالة إلى نص النمـاذج المدروسـة:مقالـة «النظـرات» (ص ٤٣)، وروايـة «زينـب» (ص ١٢٠) ومسرحية «الحلاج» (ص ١٩٣) تمت بشكل ناقص، والأسوا من هـذا عـدمإثبات الكتب التی نُقلت منهامقالة مصطفی صادق الرافعی (ص ٤٦)، وكـذلک المقـالات الأخـری فـی الصفحات ٤٨ و٤٩، وأيضاً القصص القصـيرة الـواردة فـی الصـفحات ٧٤، ٨٢، ٨٩، ٩٦، ١٠١، ١٠٦. ومايثير التساؤل عدم تسـجيل أسـماء هـذه الكتبفـی فهـرس المصـادر وتوثيقهـا بـذكر «دار النشر، سنة الطبع، رقم الطبع»، وهذا يعتبر من النقائص الجوهرية للكتـاب وأمـر مرفـوض فی البحوث العلمية والجامعية.

عدم التدقيق فی الإحالة إلى المراجع ظهر بشكل آخر وهو إرجاع الأثر أو الكـلام المنقـول إلى كاتب آخر عن طريق الخطأ، وهذا ما حدث شاذاً فی الصفحة ٦٤ حيث تم الجمع بين رواية «الشوارع الخلفية» (١٩٥٨) وعبد الحميد جودة السحار بصفته كاتباً لهذه الرواية فی حين إن عبد الرحمن الشرقاوی هو صاحب الرواية. وفی موضع آخر ينسب الكتابإلى الناقد أحمد الشايب هذه العبارة قائلاً: «يری أحمد الشايبأن أسلوب الرجل هو الرجل نفسه» (ص ٧١) والحـال أن هـذه

الجملة الشهيرة منسوبة إلى اللغوى الفرنسى«بوفون» (۱۷۰۷–۱۷۸۸) الذى قال «أسلوب الشخص نفسه» (وهبة، ۱۹۷۴: ۵۴۲).

۵. النقاط السلبية للكتاب؛ من سلبيات الكتاب ما يلى

۱.۵ تجاهل التيارات الأدبية المعاصرة فى الأدب القصصى

يرى الكثير من النقاد والمؤرخين أن هجوم نابليون بونابارت على مصر عام ۱۷۹۸، والعلاقة المباشرة مع الغرب يعتبر أحد العوامل الهامة والمؤثّرة فى إحياء النهضة الأدبية وبداية العهد الحديث للأدب العربى (هيكل، ۱۹۹۴: ۱۳؛ ضيف، لاتا: ۱۱). إن المؤلفَين قد جعلا هذه الفترة نقطة البداية لدراستهما لكن الفترة الممتدّة فى الدراسة لاتتجاوز منتصف القرن العشرين،بينما حقبة الستينيات قد تميّزت بسمات متميّزة، إذ شهد ذلك العقد آمالاً عظيمة، وإنجازات، وإحباطات وطنية، وتغيّرات عميقة المدى فى العلاقات الاجتماعية نحو: ظهور شخصية جمال عبدالناصر، وصعود القومية العربية، ونكسة عام ۱۹۶۷، واحتلال أجزاء من البلاد العربية؛ وعلى طول هذا العقد من السنوات وجدت الاتجاهات الحداثية فى الأدب العربى هويّتها الخاصة (الخراط، ۱۹۹۹: ۱۷). ويصنّف البعض فى هذا السياق تيارات أساسية فى الأدب الروائيأهمها: ۱. التيار الداخلى أو العضوى. ۲. تيار التشيىء. ۳. التيار الأسطورى المعاصر. ۴. التيار الواقعى الجديد. ۵. التيار الواقعى السحرى (الخراط، ۱۹۹۹: ۳۰–۳۸). لكن الكتاب لم يتطرق إلى الأحداث الهامة لهذه الحقبة، ولم يرد أى إشارة عابرة إلى هذه التيارات الأدبية المذكورة فى المجال القصصى أوالمسرحى، ومعظم القصص والروايات تعالج مواضيع اجتماعية وواقعية، ومادة المسرحيات الثلاث تاريخية، اثنتان منها شعريتان ومسرحية واحدة نثرية.

ومما يلاحظ على هذه الدراسة عدم وضوح السبب والمعيار فى اختيارها سبعة كتّاب من بلاد مصر، وكاتب واحد من السودان، إلى جانب انتخاب كتّاب آخرين من العراق والأردن.إنها لم تُفرد باباً للحديث عمّا كان ولايزال يُعرفبعمليات التجنيس الفنى التى ظهرت إثر انهيار أسلوب الرواية التقليدية لدى العديد من الكتّاب، وانفلات الكتابة من قيود الشكل،إذ تحولت الرواية حسب رأى النقاد إلى أعمال مفتوحة على أجناس أدبية متعددة، حتى تكاد تغيب حدود النوع الأدبى مع الشعر، والسينما، والقصة القصيرة، والمسرح، والريبورتاج الصحفى (أبو نضال، ۲۰۰۶: ۱۴). ومن هذا المنطلق من الأفضل تعريف الرواية الجديدة وتبيين أهم مواصفاتها فى ثنايا الفصول، ومن ثم اختيارنماذج من أعمال روائيين ذوى نتاجات جيدة وعالية ممن رسخّوا أساليب الكتابة الروائية الجديدة فى الأدب العربى أمثال: إبراهيم نصرالله، وبهاء طاهر، وصنع الله إبراهيم، وعبدالرحمن

منيف، وجمال الغيطانى وغيرهم.كما يجدر بأن تُخصص أجزاءللكتابة النسوية التى تمثّلت فى إبداعاتسحر خليفة، وأحلام مستغانمى، وإملى نصرالله، وهدى بركات، وليلى الأطرش وغيرهن.

٢.٥ عدم تناسق العناوين الداخلية

إن العناوين الداخلية، عناوين مرافقة أو مصاحبة للنص، فى داخل النص و«الوظيفة الرئيسية التى تتّخذها هى الوظيفة الوصفية عند «جينيت» ... لأنها تمكّننا من ربط العلاقة بين العناوين الداخلية وفصولها من جهة، والعناوين الداخلية وعنوانها الرئيسى من جهة أخرى (بلعابد، ٢٠٠٨: ١٢٦). لكن قارىء هذا الكتاب يجد أن «الفصل الثالث الرواية»، يتضمّن ما يرتبط بالمسرحية، بداية بشرح وجود ما كان يشبهها فى الأدب العربى القديم (المقامة، الحكواتى و...)، ومروراً بنشأتها وتطورها وعناصرها وأنواعها، ووصولاً إلى الإتيان بنماذجها للدراسة والشرح. وبما أن من أهم وظائف العنوان وظيفة المطابقة التى تريد أن تطابق بين العنوان والنص، فكان من الأفضل أن يُفرد للمسرحية فصلٌ خاصٌ نظراً لتفاوت الرواية والمسرحية فى البناء والعناصر، وبسبب اختلافكيفية نشأتهما وتطوّرهما فى الأدب العربى.

إن عدم اتّباع الكتاب منهجاً واحداً فى انتخاب العناوين داخل الفصول ظهر جلياً فيالفصل الثالث (الرواية) حيث لم يتضمن تحليل رواية «زينب» أى عنوان داخلى بينما اشتمل تحليل روايتى «زقاق المدق» و«موسم الهجرة إلى الشمال» على عناوين داخلية غير متشابهة ومختلفة.هناک نقطة يجب الإشارة إليها وهيأن الكتاب خصّص مقاطع قصيرة للإشارة إلى سيرة حياة بعض الأدباء أمثال لطفى المنفلوطى (نشاطه الأدبى)، ومصطفى صادق الرافعى (سيرة حياة وثقافته)، وأحمد شوقى، والطيب صالح لكنه لم يقدّم تعريفاً موجزاً لسيرة حياة الأدباء البعيدين عن الشهرة، أمثال عبد العزيز عبد الكريم، وإلهام عبد الكريم، وعدنان على جابر، ومحمود أحمد السيد، وعمر النص؛ أين عاشوا وما هى إبداعاتهم فى عالم الأدب؟ بينما كان يستوجب التعريف الموجز بهؤلاء الأدباء الذين قد يكونون غير معروفين لدى بعض الطلاب، وذلک انطلاقاً من القناعة بأن معرفة المبدع تقدّم مفاتيح إضافية للولوج إلى عالمه الأدبى واستكناه مضامين أدبه.

٣.٥ عدم الترابط بين المواضيع

إن الاستطراد الذى يأتى فى ثنايا بعض المواضيع والقفز من فكرة إلى أخرى دون سياق أو انتظام، تفكک الموضوع وتُذهب انسجامه ولا تُدل على التركيز والانسجام والدقة (الركابى، ١٩٩٢: ٥٣ و٥٣). فى هذا الكتاب توجدمواضيع لاتمت بصلة لمواضيع أخرى،على

سبيل المثال فی الفصل الثانی وتحت عنوان «عناصر الفن القصصی» نجد شرحاً لهـذه العناصـر: الحادثة، الشخصية، البيئة، الموضوع، الهدف من كتاب القصة، الحبكة وأنواعها، السرد، الأسـلوب، الحوار (ص ۶۴). ومن الواضح أن الهدف من كتابة القصة لا يدخل ضمن عناصـر الروايـة، وتـم إقحامه فی هذه العناصر دون تروية وتأمل. وفی القسم المتعلّق بالمقالة والذيكان من المفترض أن يأتی الدارسان بنماذج من المقالة العربية لتحليلها واسـتخراج الأفكـار الرئيسـية فيهـا، نجـدهما يركّزان علی سيرة حياة لطفی المنفلوطی ونشاطه الأدبی، وسيرة حياة مصـطفی صـادق الرافعـی وثقافته (صص ۴۱– ۴۵). كذلک فی قسم المفاهيم النظرية وشرح عنصر الفكرة يتنـاول عنصـر الحوار، والجدل الدائر حول الفصحی والعاميةفی لغة المسرحية (ص ۱۶۷)، وهذا مامضی الحديث عنه فی الصفحات السابقة، وكان ينبغی اجتنابه،وطرحه من جديد واختلاط المواضيع.

۴.۵ عدم الاعتماد علی المراجع الرئيسية

فی قسم المفاهيم النظرية لا يعتمد الكتاب علی المراجع الحديثـة الصـادرة فـی مجـال الأدب الحديث إلا نادراً. إن سنة طبعة الكتاب ۲۰۰۳ الميلادية،وكان بالإمكان الحصول علـی مراجـع ودراسات معمّقة فی مجال النثر الحديث، للاعتماد عليها لإثراء وإغناء البحث. هناک قـواميس متخصصة درست وعرّفت المصطلحات السردية والمسرحيةويكون لزامـاً علـی الكتّـابفی هـذا المجال أن يستفيدوا منها لتزويد القاریء بمعلومات وافية وحديثة وموثوقة. كما أن هناک نقـاداً أمثال سعيد يقطين، وحسن بحراوی، وعبد الملک مرتـاض، وسـيزا قاسـم وغيـرهم ممنقـاموا بدراسات نظريةلعناصر الرواية وطبّقوها فی تحليل روايـات مختلفـة لكنقـاریء هـذا الكتـاب لايزال يواجه تعدد الإحالات إلی كتب أمثال «فن القصـة» لمحمـد يوسـف نجـم، و«الأدب و فنونه» لعزالدين اسماعيل أو «القصة و الرواية» لعزيزة مريدن، تباعـاً وبشـكل متكرّر.وكـذلک الحال فی قسم دراسة القضايا التاريخية فی الفصل الأول من الكتاب، إذ أعتُمد علی ثلاثة كتب لاقتباس جمل قصيرةمنها، فلا يتلقی القاریء معلومات واسعة ووفيرة من كتـب تـاريخ الأدب التی درست هذه القضايا بالإسهاب والتفصيل.

۵.۵ تعدد الأساليب فی التحليل

المتأمل فی الكتب الجامعية يدرک ما يحف مشكلة المنهج من مزالق؛ لأنه من المسلم به ضرورة توافر الخلفية النظرية الذی يمكن علی ضوئه تعقّب جذور الفكر النقدی، وتفسير النص، وتقويمه. فلابد للناقد من التسلح بمفهوم ما للأدب عامة، أی لا بد من الاستناد إلی نظرية فی الأدب قبـل

تعامله المباشر مع النصوص الأدبية (عزيز ماضى، ٢٠٠٥: ١٣ و١٤). إن فقدان نقد أكاديمى ومنهجى مركّز على نظرية محددة من الأخطار التى تهدد البحوث الجامعية وهذا البحث أصبح معرّضاً لهذا الخطر؛ لأن اعتماد الكتاب فى بعض تحليلاته على الدراسات السابقة التى لها أساليب متنوعة فى النقدأدى إلى عدم توحد المباحث المطروحة،وأصبح بعض النصوص النقدية مجرد ركام لا يكشف عن الاتجاه النقدى لصاحبَى الكتاب، فتحولت الدراسة فى بعض المواضع إلى مجرد سرد وصفى لا أكثر. فمثلاً فى تحليل رواية «زقاق المدق» يجد القارىء اختلاطاً فى المواضيع المدروسة حيث هناک إطلالة سريعةعلى الشخصيات الرئيسية والفرعية، ولكن تحت عنوان «ملاحظات حول الرواية» يكرّر نفس المواضيع باختصار شديد ثم يتناول من جديد الزمان والمكان والشخصيات إلخ (صص ١٢٤-١٣٠). وفى نقد رواية «موسم الهجرة إلى الشمال» (صص ١٣٩-١٥٤)وعلى الرغم من التحليل الموجز للحدث والشخصيات ونقل فكرة الرواية إلى القارىء، يغفل الكتاب عن شرح الزمان والمكان والحبكة، ويتناول الوصف واللغة والأسلوب والصراع. وبالاستناد إلى فقرات ومقتطفات من الرواية يطلق الحكم العام القائل بأنالطيب صالح «فى تصويره للأشياء شاعر كبير ومهندس مقتدر يعرف كيف يختار ألفاظه ويركب جمله...» (ص ١٤٩).

إن الباحث مطالب باستثمار الأفكار النقدية للمنظّرين لإصدار تحليله ورأيه الخاص، ولكن الاقتباسات التى أشيرت إليها فى النص تكون طويلة وكاملة بحيثتطغى أحياناً على تحليلات الكتاب.على سبيل المثال بالمراجعةإلى أحدالمنابع المعتمدة عليها باسم «فى النقد العربى الحديث منطلقات و تطبيقات» (مصطفى، ١٩٨٩: ١٥١-١٥٩) فى قسم نقد «مسرحية حكاية الأيام الثلاثة لعمر النص» (صص ١٧٩-١٨٨) يظهر عدم إدخال أى تغيير فى أجزاء كبيرة من النص المقتبس بينما من الضرورى أن يكون كلام الباحث مسيطراً على الأثر، ولا تغيب شخصيته فى كثرة الاقتباسات المتتالية، ولا يكتفَى بنقل الاقتباسات خالية من النقد والتعليق حسب المقام والظروف.

تجدر الإشارة إلى أن هناک مقاطع فى الفصل الأول لم يُقدّم لها أى تحليل واكتُفى بالإتيان بالنماذج؛ هذا ما نجده فى القسم المتعلق بالمقالات، وفى دراسة بعض القصص القصيرة بحيث تم تركهاللطالب دون أى تعليق أونقد ليكشف هو مواهبه فى تحليل النصوص ويكون طرفاً فى المعادلة التعليمية حسب زعم المؤلفين ولكن كان ينبغى الابتعادعن الإيجاز والاقتصاد فى الكلام إذ إنهلايؤدى إلى إرشاد بعض الطلاب نحو الهدف المنشودوقديضلّون فى متاهات النص. إن ترک النصوصدون إعطاء أى معلومات وجيزة أو مفاتيح رئيسية قد يطرحعليهم أسئلة كثيرة ومعقدة بحيث لا تسمح له مواهبه العثور على جواب لهذه الأسئلة، ومن ثم لا يتفاعل مع رأى الكاتب ولايشاركه فى التحليل والاستنباط.

۶.۵ فقدان المكونات الشكلية الجامعة

تفتقر الكتاب للمكونات الشكلية الجامعة وهی: السؤال، والفرضية، وفهرس العناوين الأصلية والفرعية، ونتيجة البحث، والتمارين، والأسئلة المستخرجة من الفصول. إن كان من المفترض أن يكون الكتاب تعليمياً فليجدر بالمؤلفَين أن يراعيا المكونات المذكورة ويتم تقديمها فی جميع فصول الكتابثم يتم إنهاء البحث بخاتمة تُظهرالخلاصة وأهم الخطوط العامة لنتائج البحث.

۶. النتيجة

إن تقويم كتاب *دراسات فی الأدب العربی الحديث (النثر)* يرينا أن:

۱. مؤلفَی الكتاب لم يحتفلا بالضوابط، والقوانين المتّبعة والصحيحة فی الإحالة إلی المصادر والمراجع المستفادة منها،ولم يلاحظا الدقة فيما ينقلان.

۲. علی الرغم من بعض التحليلات الجيدة والصائبة فی ثنايا الفصول، لم يتمتع الكتاببالاستفادة من المراجع الجديدة فی شرح القضايا التاريخية والمفاهيم النظرية المتعلقة بالرواية والمسرحية.

۳. المؤلفين لم يخطوا خطوات موحدة ومتساوية فی تحليل النماذج المقدمة، إن هذا الأمر ناجم عن فقدان نقدمنهجيفی معظم التحليلات، والاعتماد علی الاقتباسات المتتابعة من الدراسات السابقة.

۴. لا يمكن اعتبار هذا الكتاب كتاباً جامعاً فی النثر العربی الحديث إذ لم يتجاوز فی دراساته التاريخية منتصف القرن العشرين، ولم يشرإلی التيارات الأدبية الحديثة وأعلام الأدب العربی فی النثر المعاصر وأعمالهم.

۵. إن هذا الكتاب تجاهل المؤهلات والمكوّنات الشكلية الجامعة.

المصادر

أبو نضال، نزيه (۲۰۰۶). *التحولات فی الرواية العربية*، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

الإسلامی، سيد حسين (۱۳۹۱). *الأخلاق و ضوابط نقد الكتاب*، طهران: دارالكتاب.

بشيری، محمود (۱۳۹۳). «تحليل و نقد كتاب الأدبالمعاصر (نثر)»، *مجلة البحوث النقدية للنصوص وبرامج العلوم الإنسانية*، العدد الأول، أكاديمية العلوم الإنسانية والدراسات الثقافية.

بلعابد، عبد الحق (۲۰۰۸). *عتبات (جيرار جينيت من النص إلی المناص)*، بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون.

حمداوی، جمیل (۱۹۹۷). «السیمیوطیقا والعنونة»، *عالم الفکر*، العدد الثالث، الکویت، المجلس الوطنی للثقافة والفنون والآداب.

الخراط، إدوار (۱۹۹۹). *أصوات الحداثة*، بیروت: دار الآداب.

الرکابی، جودت (۱۹۹۲). *منهج البحث الأدبی فی إعداد الرسائل الجامعیة*، دمشق: دار ممتاز للتألیف والترجمة والنشر.

ضیف، شوقی (لاتا). *الأدب العربی المعاصر فی مصر*، دار المعارف: القاهرة.

عزیز ماضی، شکری (۲۰۰۵). *فی نظریة الأدب*، بیروت: المؤسسة العربیة للدراسات والنشر.

مصطفی فائق، و علی عبدالرضا (۱۹۸۹). *فی النقد العربی الحدیث منطلقات وتطبیقات*، موصل: مدیریة دار الکتب للطباعة والنشر.

ربیع، محمد أحمد والحمدانی، سالم أحمد (۲۰۰۳). *دراسات فی الأدب العربی الحدیث (النثر)*، الأردن: دار الکندی للنشر و التوزیع.

الهاشمی، عبد الرحمن (۲۰۰۸). *تعلم النحو والإملاء والترقیم*، عمان: دار المناهج للنشر والتوزیع.

الهواری، صلاح الدین (۲۰۰۱). *کیف تکتب بحثاً أو رسالة*، بیروت: دار و مکتبة الهلال.

هیکل، أحمد (۱۹۹۴). *تطور الأدب الحدیث فی مصر*، القاهرة: دار المعارف.

وهبة، مجدی (۱۹۷۴). *معجم مصطلحات الأدب*، بیروت: مکتبة لبنان.